آل الشاوي

La Famille Shâwy.

سليمان بك الشاوي (تتمة)

وقائعه السياسية

١ – من مقتل ابيه الى وزارة سليمان باشا :

ان خبر مقتل والده دعاه الى ان ينهض على الحكومة بتاريخ ١١٨٣ هـ كما تقدم . وهذه اول معاناته للسياسة العدائية ، وقيامه على الحكومة العثمانية ، فاشترك اخوته معه ، وبقيت نتائج هذا الحادث مجهولة . والظاهر ان المناوأة بقيت الى ايام الطاعون عام ١١٨٦ هـ وما يليها ، حتى تدهور هذا الوزير واختل أمره في كل صوب وكان الشاويون عليه أكبر من الطاعون . ودامت ايام الطاعون من اوائل شعبان سنة ١١٨٦ الى اواخر المحرم من سنة ١١٨٧ هـ . (راجع دوحة الوزراء)

ثم وقعت حروب وفتن داخلية وغير داخلية اي مع العجم ، زمن حكومة عبدالكريم خان الزند ، أنست مصاب والده ، ودعت الى تقربه من الحكومة بعد ان زال الوالي وشفي غليلهم بقتله . واخذت الحكومة نفسها تستعين به في الاخطار التي انتابتها من كل صوب ، فقام في هذه الاحيان لمصلحة الحكومة بما كان يمدح عليه . فهو قوة على الناهضين للافساد والشغب ، مراعياً سياسة الادارة وارضاءها بما استطاع من حول ، ورأى المصلحة الحقيقية تدعو الى ذلك واخوته معه قوة لا يستهان بها .

ونظراً الى ما كان له من نفوذ ومكانة ، استصرخه البيتوشي في وقعة العجم ، واستيلائهم على البصرة ، وحرضه على استعادتها . وقد أورد صاحب مطالع السعود ما مؤداه :

« ان البصرة كان قد حاصرها العجم بعد سنة ١١٨٨ هـ مدة نحو سنتين ، ثم استولوا عليها واسروا متسلمها سليمان اغا . وفي اثناء بقائها بيد العجم ،

كتب الاديب الفاضل ، عبدالله البيتوشي الى سليمان بك الشاوي ، كتاباً جمع الى انسجام الالفاظ ، جوامع المعاني. وكان سليمان بك اذ ذاك صدراً في العراق يستصرخه لنصرة البصرة وتخليصها مما فيها ، ذاكراً فيه ما للبصرة من الفضائل التي منها : أنها ربت جماعة من الفضلاء والكرماء فكيف تترك تحت أضراس العسف ؟ الى ان يقول :

ما كان من شيم الاكابر أنهم ... يدعون مايحمون بالاسياف
والبصرة الفيحاء أولى ماحمى ... ملك وصانتها يد الانصاف
أفتاركوها تحت انياب السبو ... ع ذليلة الاشراف والاطراف
ام مطلقوها من أداهم ذلها ... فلكم دعت للفك من اشراف
نادت (هزبراً) حين أعيا امرها ... فاجابها بشراك بالالطاف

ولم يذكر ابن سند كتابه بنصه وانما لخصه تلخيصاً . وقال :

« ولما وصلت المكاتبة الى سليمان بك ، وقعت منه موقع السلسال من النيمان ، ورام النصرة فلم يكن له بها يدان ... » وذلك لما اضطرب من احوال بغداد وما بلغ من سوء الحالة والنزاع على الوزارة والحزبية الداعية للفتن . وفي هذه الاثناء ايضاً تأهب الفرس لغزو المنتفق . وغاية مايلاحظ هنا ان البيتوشي لم ير من يستفزعه لهذا الامر الجلل سوى سليمان بك . ولذا خاطبه بكتابه الذي نوه به عثمان بن سند . وفي هذا الحين كان سليمان اغا متسلم البصرة في اسر العجم .

٢ـ من وزارة سليمان باشا الى اواخر ايام المترجم :

ثم ان سليمان اغا اطلق من اسر العجم ، فولي متسلمية البصرة . وبعدها نال وزارة بغداد ايضاً فصار يدعي (سليمان باشا) وذلك سنة ١١٩٤ هـ ؛ فسار الى الزوراء وحينئذ استقبله اسماعيل كهية في طريقه . وكان وصل « العرجة » فقتله هناك ونفى من كان معه الى البصرة ، فذهب الوزير الى كربلاء وعاد منها كما في دوحة الوزراء .

قال صاحب مطالع السعود في ص ٦٨ : « وعندما شارف الحلة ، لقيه احد الاكابر الجلة ، أمير حمير سليمان بك لما بينهما من الخلة ، فاكرمه وبجله ، وأجله وعامله من اللطف بكل خلة ... » وورد عن سليمان فائق بك ، وصاحب الدوحة في بيان السبب : « لما ابداه من الصدق والاخلاص للحكومة من اول الامر

الى آخره . » ومن ثم وصل الوزير المسعودي ولم يشأ ان يدخل بغداد حتى يقضي على بعض المناوئين . فعبر من ناحية « المنطقة » ومضى في عمله [دوحة الوزراء] .

٣ . وصف الحالة السياسية وآل الشاوي :

قبل هذا كان النفوذ محصوراً في أيدي المماليك ، (أي الكولات . ولا تزال عملة الكولات في بغداد معروفة باسمهم) لزيادة الحرص والطمع في السلطة ، وفي جباية الاموال . ولم يقربوا من الاهلين إلا بقدر ما تدعو اليه الحاجة والضرورة وذلك في المدينة طبعاً لا في الخارج ولا في العشائر ولم يقدموهم للمناصب في آخر الامر إلا لعجز بدا منهم وسوء تدبير ، مما دعا الى التدخل والاستعانة . ولذا نرى حالات الاضطراب والفتن الاخيرة اهابت الى ان يقوى نفوذ آل الشاوي في الادارة الداخلية عدا العشائرية التي كانت في ايديهم دون سواهم بحيث صار يخشى بطشهم ويرتاب في توسع سطوتهم اكابر الامراء وارباب السلطة . والشعر اسان حال الوضع وهو جريدة ذلك الزمن .

وفي كل هذا الحين ، أي الى زمن حكومة سليمان باشا ، لم ير من آل الشاوي ما يعاكس سياسة الحكومة وسلوكها ، وانما يشاهد منهم النصح الصادق ، وحسن التدبير ، والمقدرة على الادارة . ولكن الاجنبي يتخوف من ظله ويحترز من الوطنيين احترازاً يحسب له حساب ، فحدثت الرقابة وصار يخشى من توسع امر الشاويين . فكان سليمان بك يعد من اماثل القطر واكابر رجاله . وكان ممن لا يقعقع له بالشنان .

اما سليمان باشا الوزير فانه اراد ان يعيد الى المماليك سطوتهم الاولى ، ونفوذهم السابق ، وحاول ان يقضي على كل نفوذ لغيره من عشائر أو من اشخاص ويحصر السلطة بايدي المماليك ولكنه حاذر ان يبطش بسليمان بك الشاوي رأساً وبلا تمهيد مقدمات لما حاق به من الاخطار الاخر فابدى له حباً جماً ، واظهر مودة زائدة ، واستخدمه في اهم الاعمال . كل هذا ليمحو به نفوذ الاهلين من جهة ، ويقلل تدخلات الحكومة المركزية من جهة اخرى بسبب ما يظهر في المماليك من الضعف بين آونة واخرى . ثم يرجع اليه بعد ذلك ويفرغ له .

وقد خبر هذا الوزير الحالتين : نفوذ المماليك الاول ، وضعفهم الاخير . وشاهد بعينه مقدرة عبدالله بك الشاوي . ولعله هو الذي اسر الى الوزير عمر باشا بقتله فقتله . ولما قرب الوزير سليمان باشا صاحب خاتمه (مهردار) احمد آغا الخربندة ولم يثق بغيره لمكاشفة سره ، والاطلاع على طويته في هذا الامر ، وذلك لانه رباه من صغره ، وعرف اخلاصه له ، واستقتاله في خدمته . فاعطاه من النفوذ والسلطة ما حسده عليهما اهل حاشيته ، فمكنه لهذه الغاية ولم يخش منه قوة قبيلة أو نفوذاً يصح أن يستعمله عليه ، بعد هذه المنحة من حول وطول .

اما سليمان بك ، فانه قام بخدمات جليلة لهذا الوزير ، وانقذه من ورطات عظيمة في جميع ما وقع من الاسفار والحروب . فاعماله نحو الوزير مبرورة خالصة وظاهرة للعيان . فنال وجاهة عند الوزير ولم يساو به احداً في الظاهر ؛ وان كان الوزير حسب خطته يضمر له نيات ، على حد ما قيل « لا يجتمع سيفان في غمد ، ولا فحلان في شول » خصوصاً انه حصل على حب الاهلين ومدحه الشعراء . زد على ذلك ان في اصله نجابة وكرامة تدعوان الى تسامحه وفخاره على غيره .

وما قيل : ان الوزير كان قد ربى ابن الخربندة ، وهو احمد اغا المهردار من صغره ، ورعاه رعاية كبيرة لما فيه من اعتدال قوام ، وجمال خلق ، وادب جم ، وموسيقى جذابة ، وحسن تدبير ، ومهارة في القيام بالامور المودعة اليه ، قول صدق قوى نفوذه لديه بحيث صار يد الوزير وسمعه وبصره . ومن هنا تولدت النغرة بينه وبين سليمان بك ووقعت المزاحمة ، ولما كان الوزير يحب الاثنين اراد ان يوفق بينهما ، فلم يتمكن مع عزة المهردار عند الوزير واستحقاقه التصدير لنباهته . كل هذا لم يكن السبب الحقيقي . وسليمان فائق بك المؤرخ الشهير لم يشأ ان يبدي السبب الحقيقي ؛ لانه من المماليك ويحب ان يستر نياتهم . وان كان اشار الى تألم الوزير لقتل ابن الخربندة وبيانه فان ذلك هدم لمشروعه وتشويش لما قرره ، وكذا يقال عن صاحب المطالع فانه أبدى ان حساده توصلوا الى الوزير ، وغرضهم ابعاده فابلغوا عنه ما ارادوا اذ لو لم يبعدوه لما

سادوا حتى قال: وان من هذه الاسباب مخاصمته المهردار ومصارحته له بالعداوة مع عزة المهردار عند الوزير .

ان هذا الامر بيت ليلا . وكان كلما اشتد النزاع والنضال بين الاثنين ، ابدى الوزير انه سعى للتوفيق بينهما توصلا للغرض فكتم الامر غاية الكتمان. ولما رأى ان الوقت قد حان لتحقيق منهاجه اضطر — ظاهراً — الى ان يرجح جانب المهردار ، واشاع عن سليمان بك تصلبه وخشونته فأمر ان لايبقى في بغداد ، وان يذهب الى حيث يشاء .

وقد يكون ابن الخربندة هو الذي أوغر صدر الوزير ، وبلغه تبليغات عنه ، لينال المكانة ، ولكن الوضع كان بخلاف ذلك ، والاشارات والقرائن تؤيد الرأي الاول . وقد وجه سليمان فائق بك اللائمة الى الشاوي من جهة عدم مماشاته للوزير ، وفسحه المجال لابن الخربندة والظاهر ما ذكرت ان سليمان فائق بك يريد ان يكون ذليلا ، فنسب اليه الخشونة ، على ان الحكومة ليست معبودة لهذا الحد . والاخلاق السليمة تأبى الخضوع لكل امرئ ، وانما يخضع الانسان للحق ولا يخشى إلّا الله ، وتمست الحكومة التي هذا شأنها ولم تقف عند حدها . وقد كلفت الوزير هذه الخطة كلفة كان في غنى عنها ، وحركت عليه ساكناً آخر ، لان تقدم ابن الخربندة اسخط اهل القدم والخدمات للحكومة . فاوجد مزاحمين آخرين غير ابن الشاوي . وما ذاك إلّا لان الوزير لم يرغب في ان يطلع على دخيلة سرة غيره ، فكان في الحقيقة هو الذي قتل ابن الخربندة .

٤ — خروج سليمان بك الشاوي من بغداد ووقائعه :

اضطر سليمان بك الى ان يخرج من بغداد باتباعه وحاشيته سنة ١٢٠٠ هـ فاقام في الجهة القصوى من هور عقرقوف ، وتابعته قبيلة العبيد ، والقبائل الاخر المقيمة في تلك الانحاء ، فالتفت حوله . وبالحقيقة ان العشائر لاتعرف غيره ، وحينئذ اراد المهردار ان يقضي عليه أو يقصيه ، فحرك عليه الوزير ، فاستعد المهردار للهجوم عليه بجيش مع بعض امراء الكرد . فاطلع سليمان بك بواسطة عيونه على كثرة جيوش عدوه ، فترك اثقاله وظعن الى جهة الخابور ، ولم يظهر

انه هو البادي ، فغنم الجيش اثقاله . فصارت هذه الحادثة للجيش « سمعة وسلامة » .

وعند عودة احمد اغا المهردار ، منح منصب (الكتخدائية) المنصب الذي كان يعارض الشاوي في منحه اياه لحساسة اصله ولسابق مكانته الاولى التي نوه بها سليمان فائق بك وهذا المنصب اكبر الدرجات التي كان يمكن ان ينالها موظف في ذلك الحين . وهو مقدمة الوزارة لحكومة المماليك وقبل حكومة هؤلاء المماليك كان الوزير يأتي بالكتخدا معه من الاستانة وعند انفصاله يعود معه .

وهذا التعيين ولد الحسد والمزاحمة — كما تقدم — في اقرانه ، بل في من هم اقدم منه في السبق . وكان المنصب المذكور مرجع الخاص والعام ، وصاحبه في الحقيقة مالك السلطة الحقيقية . فمكان تقليده هذا المنصب اغراء آخر من قبل الوزير على ابن الشاوي .

٥ — ٣ — ١٩٣١ المحامي : عباس العزاوي

❀❀❀

الحياة الصالحة

La Vie édifiante .

نريد حياة العلم يا ايها الشعب فقد بزنا الاغراب واستعبد الندب
« « بالصناعات غضة فلا ينهوي معها العراق ولا يكبو
« « لباساً للعراقي صنعه نريد جيوشاً تستحر بها الحرب
« « نفوذاً صارماً في امورنا فخيراتنا العظمى لكل الورى نهب
« « حياة حرة يعربية تؤيدها الاموال ينصرها العضب
« « « ذات بأس معظم تعززها الاعمال تسمو بها العرب
« طيور العلم في الجو عوماً وشبان علم في طريق العلى هبوا
فان الحياة اليوم علم وصنعة ومال عظيم يستعين به الشعب

مصطفى جواد